# تغريب النص الأدبي في الكتاب المدرسي

# Westernization of the literary text in the textbook

نبيل زياني[1]

1-جامعة، (بسكرة)،الجزائر / Ziani111@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/12/05 تاريخ القبول: 2023/12/31 تاريخ النشر: 2023/12/31

**الملخص** : تناول هذا البحث موضوع تغريب النص الأدبي في الكتاب المدرسي _ كتاب القراءة للسنة الخامسة ابتدائي 2018 نموذجا _ للإجابة على إشكالية: ما مدى اختراق التغريب للنص الأدبي التعليمي؟ وعن طريق المنهج الاستقرائي التحليلي هدف البحث إلى تنبيه المعلمين إلى التشوهات الأيديولوجية في الكتاب، وقد تضمنت خطة البحث مفهوم التغريب وأهدافه. ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي له، ثم مظاهر تغريب النص الأدبي في الكتاب، وقد خلص البحث إلى بعض النتائج أهمها النسبة العالية للتغريب في هذا الكتاب وخطرها على هوية التلميذ.

**الكلمات المفتاحية:** التغريب، النص، الأدب، الكتاب المدرسي، الأيديولوجية .

**Abstract:** This research addressed the topic of Westernization of the literary text in the school book - the reading book for the fifth year of primary school 2018 as an example - to answer the problem: To what extent has Westernization penetrated the educational literary text? Through the inductive and analytical method, the research aimed to alert teachers to the ideological distortions in the book. The research plan included the concept of Westernization and its goals. The role of the Association of Algerian Muslim Scholars in confronting it, then the manifestations of Westernization of the literary text in the book. The research came to some results, the most important of which is the high percentage of Westernization in this book and its danger to the student's identity.

**Keywords** : Westernization, text, literature, textbook., ideological.

**المؤلف المرسل: نبيل زياني**

**الاميل: Ziani111@yahoo.fr**

**نبيل زياني**

**مقدمة:**

لقد أدركت الدول الغربية والاستعمارية منذ زمن طويل أهمية التعليم بالنسبة للفرد، وأثره العميق على نهضة المجتمع؛ فنال حظًا عظيمًا من اهتمامهم، وجعلوا منه سلاحًا ذا حدين؛ حيث استُثمر لتنمية مجتمعاتهم ونهضتها والارتقاء بها من جانب، وحربة مصوبة إلى خاصرة الدول الإسلامية المستعمرة تغير فيها مناهج الأفراد والجماعات وتغير التاريخ وتشوهه من جانب آخر، ولم يكن هناك طريق مختصر وفعال كالتعليم لنشر الأفكار والفلسفات والتحكم في العقول وصناعة الشخصية والهوية الفردية والجماعية الجديدة في أسرع وقت، لكون الأجيال الناشئة ترى ما يراه المدرس، والطالب الصغير يهوى ما يهواه مدرسه، وينظر إلى الأشياء بمنظار مدرسه، واستنتجت لجنة تبشيرية سنة 1920م متخصصة في استغلال التعليم للتأثير في عقول الأجيال بأن طريقتها كانت أقوى من طريقة الدول الأوروبية كلها، لو راحت تحقق ذلك الغرض بالوسائل السياسية والعسكرية (شاتليه، ص115، الغارة على العالم الإسلامي). ومن هنا وجب على أصحاب الفكر والتعليم مراجعة المناهج الدراسية وغربلتها مما علق بها من تشوهات فكرية وسموم أيديولوجية دخيلة. ومن هنا أيضا تناول هذا البحث النظر في تغريب النص الأدبي في الكتاب المدرسي _ كتاب القراءة للسنة الخامسة ابتدائي سنة 2018 نموذجا _ للإجابة على الإشكالية الآتية: ما مدى اختراق التغريب للنص الأدبي التعليمي في منظومتنا التربوية ؟ ، وباستعمال المنهج الاستقرائي وتوظيف آلية التحليل، وبالاعتماد على الاقتباس المنهجي، هدف البحث إلى تنبيه القائمين على تعليمية النص الأدبي إلى التشوهات الأيديولوجية التي أصابته، وفي إطار ذلك تم تقسيم البحث إلى خطة تضمنت الحديث عن مفهوم التغريب وأهدافه وخطره على التعليم والهوية. ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي له سابقا، ثم التطرق إلى مظاهر تغريب النص الأدبي في الكتاب المدرسي الحديث ثم الخاتمة والنتائج والتوصيات.

**-أولا: تعريف التغريب:**

التغريب مصطلح حديث يرجع في اللغة إلى لفظ "غرب" ومنه المغرب، وهو في لسان العرب ما يذهب إلى ناحية الغرب، والغرب هو التنحي عن الناس والابتعاد عنهم كما في

حديث "تغريب الزاني" أي نفيه عن بلده، وتغريب المرأة طلاقها، والاغتراب هو البعد عن الوطن (ابن منظور، 639/1، لسان العرب) .

أما التغريب اصطلاحا فهو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية (أجنبية)، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، وتشكيلها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بـ "الثقافة العالمية" أو الفكر الأممي. ولا ريب أن هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الإسلامي في العصور المتأخرة لأنه وليد الاستعمار وربيب الاستشراق وابن التبشير، والتغريب حركة ممنهجة له نظمه ووسائله وأهدافه، وقادته ودعاته .. يعتمد على وسيلتين أساسيتين لتحقيق أهدافه هما: الإعلام من راديو وتليفزيون وصحافة مكتوبة .. ودور الثقافة والمدارس (الأهدل، ص192، أضواء على الثقافة الإسلامية)، قال محمد سرور بن نايف في تعريف التغريبيين: "هم الذين درسوا في المعاهد والجامعات الصليبية وتتلمذوا على يد المستشرقين والمبشرين فأعجبوا بهم أشد الإعجاب وأخلصوا لهم غاية الإخلاص، وعاد الطلبة بعد إتمام دراستهم إلى بلادهم ليتقلدوا أرفع المناصب العلمية والسياسية وليضعوا خطة التعليم ومناهج الجامعات والمعاهد في العالم العربي ... والحق يقال أنهم كانوا أكثر غلوا وأشد وقاحة من المستشرقين ... لقد زعموا أن الدين سبب تخلفنا وجهلنا وأكدوا في كتبهم ومحاضراتهم وندواتهم أنه لا بد من اتباع الغربيين شبرا بشبر وذراعا بذراع وكانوا في أخلاقم وعاداتهم صورة طبق الأصل عن أساتذتهم" (سرور، ص181، دراسات في السيرة النبوية). ويمكن تلخيص أهم القضايا التي عمل عليها التغريبيون في: الإسلام وتاريخه وأصوله، اللغة العربية، الحضارة الإسلامية، العقل العربي، السيرة النبوية وبطولات الصحابة، القرآن الكريم، سلخ الأدب عن مضمونه القيمي ورفع شعار الأدب للأدب .

**-ثانيا: أهداف التغريب:**

يرى المتخصصون في شتى المجالات الفكرية والأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية أن التغريب يحمل أهدافا خطيرة على الهوية العربية الإسلامية يمكن إجمالها في العناصر الآتية:

1_ التشكيك في قدرة اللغة العربية على مواكبة التطور العلمي ومكانتها في العصر الحديث.

2_ إبراز وتقوية اللغات والثقافات العالمية والعرقية المحلية على حساب ثقافة ولغة الأمة الجامعة.

3_ عزل موضوع الأخلاق والقيم عن التعليم وجعله تعليما ماديا خالصا.

4_ اعتبار الروابط اللغوية كالقومية العربية، والعرقية كالوحدة الإفريقية، والجغرافية كالاتحاد الأوروبي، أساس الروابط العالمية دون الروابط القيمية.

5_ تمجيد الحضارات السابقة عن الحضارة الإسلامية كالحضارة اليونانية والرومانية واعتبارهما أصل الحضارات التي جاءت بعدها بما فيها الحضارة الإسلامية، واعتبار الحضارة الإسلامية مجرد مرحلة تاريخية محدودة انتهت منذ فترة.

6_ الإشادة بالحضارة الغربية وبرموزها الفكرية وجعلها مثالا يحتذى به للعالم المتحضر والمتطور، والتركيز على قضية حرية المرأة وحقوقها ومساواتها بالرجل في كل شيئ، وانتقاد مظهرها الإسلامي.

7_ عزل الدين عن الحياة الثقافية والأدبية والسياسية والاقتصادية للأمة، واعتباره مسألة شخصية، ونشر الثقافة العلمانية التي تنادي بفصل الثقافة عن المدنية في بناء الحضارة.

**-ثالثا: خطر التغريب على الهوية العربية الإسلامية في العملية التعليمية:**

تنبه رجال التعليم والإصلاح في وقت مبكر إلى خطر التغريب على هوية الأمة، وذهب البشير الإبراهيمي إلى الربط بين التغريب في العملية التعليمية وانتشار الإلحاد فقال: "الإلحاد ضيف ثقيل حل بهذا القطر منذ انتشرت بين أبنائه الثقافة الأوروبية من طريق التعليم اللاديني أو من طريق التقليد الأعمى، وغذته غفلة الآباء والأولياء عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم" (الإبراهيمي، ص194/1، آثار الإبراهيمي) ، وذكر في موضع آخر نتيجة إضعاف اللغة والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة على سلوك الناشئة فقال: "حتى أصبح الناشئ يحتقر أبويه، ويستحي من جنسه، ويسخر من دينه، وما بينه وبين أن يتنكّر لهؤلاء جميعًا إلّا أن يطلع على شيء من آداب الغرب" (الإبراهيمي، ص309/2، آثار الإبراهيمي). وبينَ الدكتور

## تغريب النص الأدبي في الكتاب المدرسي

عبد الستار فتح الله، في كتابه "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" أن التغريب في حقيقته ما هو إلا سلاح جديد للتبشير وخطوة سرية له فقال: "لقد تنبه كثير من المسيحيين إلى سذاجة فكرة التبشير بمسيحيتهم ... لأن عناصر الإسلام وحقائقه الراقية تسمو إلى غير ما حدود عما لدى المبشرين من عقائد وأخلاق وعادات تطبع المسلم بطابع الإحساس بالتفوق والاعتزاز بدينه، لذلك اتجه التفكير التبشيري إلى إيجاد "حامض" مذيب لهذه المناعة الإسلامية في نفوس المسلمين، وقد كان التعليم والثقافة الأوربية هما أخطر المواد التي استخدمت في تحقيق هذا العمل التخريبي الهدام على أوفى الوجوه" (فتح الله، ص175، الغزو الفكري) ، وهذا "صامويل مارينوس زويمر" (Samuel Marinus Zwemer) مبشر أمريكي رحالة يلقب ب"الرسول إلى الإسلام" تحصل على الماجستير في اللاهوت وتوفي سنة 1952م _ صرح بأن الهدف من تغلغل الثقافة الغربية في التعليم عند المسلمين هو سلخهم عن الإسلام، وقتل العزة والكرامة في نفوسهم فقال: "لقد قبضنا –أيها الإخوان– في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات" (جريشة، ص36، أساليب الغزو الفكري) .

وظهرت في عالمنا العربي والإسلامي شخصيات تأثرت بالتغريب فأصبحت عميلة له، تعيش بيننا وتنفث سمومها فينا، منهم سلامة موسى الذي قال: "أريد من التعليم أن يكون تعليمًا أوربيًّا لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه"، وقال: "ولكن تعليم العربية لا يزال في أيدي الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعًا في الثقافة العربية، أي ثقافة القرون المظلمة، فلا رجاء لنا بإصلاح التعليم حتى نمنع هؤلاء الشيوخ منه، ونسلمه للأفندية الذين ساروا شوطًا بعيدًا في الثقافة الحديثة" (حسين، ص223، الاتجاهات الوطنية في الأدب)، وقال طه حسين: "إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم"(حسين، ص223، الاتجاهات الوطنية في الأدب).

ولعل من أقوى **آثار التغريب** والتقليد الكبير للآداب الأجنبية أننا نجد الكثير من الأدب العربي الحديث يعيش بلا هوية، وبلا خصوصية، ونرى بروز أقلام مؤثرة تنبش في موروثنا الأدبي بسوء نية، فأحيت الفكر الاعتزالي، والوثني، وشعر الخمريات، والمجون، والغزل غير العفيف، وعملت على إعادة ظواهر أدبية وشخصيات منحرفة كانت منبوذة من أجل تحويلها إلى قدوات فكرية ناجحة للمتعلمين. مثل الصعاليك والزنادقة والشعوبيين والباطنيين، وغلاة الحلولية والمتصوفة. ليس هذا فحسب، بل إن هذا الأدب العربي الحديث بكل أجناسه قد ازداد تأثراً بالمذاهب الأدبية الغربية الأوربية خصوصا، وتحول بعضه على يد التغريبيين إلى دعوات فاجرة وهجوم عنيف على اللغة العربية والعقيدة الإسلامية وتراثها، وعمل بكل جد على تأصيل القيم الغربية في الفن والحياة.

وبناء على ذلك فقد سار بعض أدبائنا خلف الأيديولوجيات الغربية، فوجدنا منهم من يتبنى أفكار الماركسية، ومنهم من يعمل على تثبيت الواقعية الاشتراكية وهي الصفحة الأدبية للماركسية . وهكذا اختلط الأدب العربي وفقد كثيراً من ملامح شخصيته العربية الإسلامية، وتحول إلى حربة رأي تهاجم العرب والمسلمين في عقر دارهم. وتعبث بالقيم الأخلاقية والشعائر الدينية، وتصوّر النزوات الجنسية المحرمة على أنها مشاعر إنسانية رقيقة وحقوق جديرة بالاحترام، وتسوّغ التحلل والتفسّخ، وتسعى إلى ترسيخه في أعماق الشباب والفتيات تحت ستار الحرية الشخصية. وقد لاقى هذا الأدب المتدني تشجيعاً من بعض الأجهزة ومن الهيئات والمؤسسات الثقافية والإعلامية في كثير من بلادنا المغلوبة على أمرها. بل تسلّل بكل ما فيه من إثارة وتهديم إلى **الكتاب المدرسي** تحت عنوان "التنوير" و"الحداثة"، و"التفكير العلمي" .ومع كل ما فعله هؤلاء القوم، فإن إيماننا بأن الثقافة العربية والإسلامية والعملية التعليمية أقوى من أن تشوّههما تلك المحاولات اليائسة والمسميات الزائفة.

**-رابعا: التغريب في المنظومة التربوية:**

لقد استُهدف النظام التربوي العربي العام ليتحول إلى الصبغة الغربية، وهذا النظام هو أحد المرتكزات الرئيسية للتغريب الثقافي في بلادنا العربية. بدليل أننا نجد الكثير من

## تغريب النص الأدبي في الكتاب المدرسي

المناهج الدراسية والأنشطة التربوية قد ابتعدت عن الثقافة العربية الإسلامية، مما يمهد الطريق للتغريب الفكري ويضعف عناصر الهوية بشكل خطير.

لقد أصبحت المؤسسات التعليمية العربية تقوم بدور عكسي بعد اختراقها ببرامج تهدف إلى مسخ الهوية العربية الإسلامية، فقد زعم طه حسين سبق الأدب اليوناني وتأثيره في الأدب العربي. وكانت له الفرصة أن فرض تعلم اللغتين اليونانية واللاتينية على الدارسين في كلية الآداب بمصر. بل استطاع أن يفرض تعليم الأدب اليوناني على مناهج المدارس الثانوية حين تولى منصب المستشار الفني في وزارة التعليم، وفي الوقت الذي أهمل فيه فن الخطابة عند العرب اعتنى بالخطابة اليونانية ووسعها وأفاض عليها ومجّد خطباءها . (إذاعة طهران، مقال، 31 يناير 2019، تغريب الأدب العربي).

ونجد في معظم بلداننا أن البرامج التعليمية تعطي للتربية العربية الإسلامية مساحة ضئيلة جدا مقارنة بغيرها من البرامج. وهذا الخلل في التوازن البرمجي ما هو إلا مظهر من مظاهر التغريب التربوي والتعليمي. بالإضافة إلى ما يحدث على مستوى فلسفة التربية والمناهج الدراسية والإدارة التربوية والبحث العلمي واللغة العربية وغيرها، لذلك فان الأنظمة التعليمية العربية بصورة عامة، كما يقول د. مسارع الراوي في جوهرها غربية مستوردة وليست عربية، فعلى مستوى فلسفة التربية فقد تم إعداد معظم فلسفات التربية العربية على توجيه ممن يملكون السلطة والقوة وليس على يد من يملكون رسالة التربية والتعليم. وأصحاب السلطة أغلبهم يفكرون تفكيرا سياسيا بوصلته غربية أمريكية. وقد بينت دراسة أجريت على عينة من المعلمين الأردنيين أن الغالبية العظمى ممن يحملون فلسفة تربوية يؤمنون بالفلسفة التربوية "التقدمية" (الشورطي، ص34، محاضرات في التربية).

وعلى مستوى المناهج الدراسية يعد التغريب من السمات البارزة لمحتوى وأهداف المناهج الدراسية العربية بشكل عام، وبعضها تكاد تكون منقولة حرفيا من مناهج التعليم الغربي في العلوم التجريبية والفلسفة الغربية والقانون والنظم وغيرها.

ومن مظاهر التغريب في كثير من المناهج العربية قلة الاهتمام بالتربية الإسلامية كما تمت الإشارة إليه سابقا، ففي إحدى الدول العربية مثلا نجد أن حصص مادة اللغة الانكليزية تبلغ ثلاثة أضعاف حصص التربية الإسلامية، وان حصص المواد الاجتماعية هي ضعف عدد حصص التربية الإسلامية، ولا يقتصر إهمال التربية الإسلامية على الكم بل يتجاوزه ليشمل النوعية، ففي إحدى الدول العربية التي يشكل التعليم الديني نسبة عالية تتجاوز (32% ) من منهج التعليم العام بالمرحلة المتوسطة لا تتلاءم معظم الموضوعات الدينية التي يتم تدريسها مع قدرات التلاميذ ومراحل نموهم في كل صف دراسي. كما ابتعدت الموضوعات عن معالجة القضايا المعاصرة التي تهم التلاميذ بالإضافة إلى الأسلوب الصعب الذي كتبت به. إن تغريب المناهج في كثير من الدول العربية ساعد على تعزيز الاغتراب الثقافي والغزو الفكري وأزمة الهوية لأن تلك المناهج كثيرا ما نقلت من خلالها فكر الغرب وقيمه وثقافته وأنماط حياته وتفكيره وفلسفاته ومذاهبه دون تدقيق ولا تمحيص في معظم الأحيان (الشورطي، ص34، محاضرات في التربية).

وعلى مستوى التغريب اللغوي فقد رافق التخلف الثقافي والحضاري للأمة العربية والإسلامية ضعف شديد في مكانة اللغة العربية وضمور في دورها وقلة اهتمام أهلها بها وعجزهم عن إتقانها، وتطاول الكثير من أفراد النخبة المثقفة عليها حتى تحولت إلى مجرد وسيلة هزيلة للتعامل اليومي الروتيني بين الأفراد، ولم تعد قالبا للتعبير والتواصل الحضاريين، ولا إطارا للفكر العلمي الحي. وإن من أخطر صور التغريب التربوي العربي إخراج اللغة من معظم الجامعات والكليات والمعاهد العربية كلغة لتدريس للمعارف العلمية، وإحلال اللغات الغربية وخاصة الانجليزية والفرنسية محلها، وفي هذا المنهج مخاطر كبيرة منها:

1_ شعور الكثير من الطلبة بقصور اللغة العربية عن تدريس العلوم الحديثة، وشعورهم بالنقص تجاه الثقافة الغربية، واحتقارهم لهويتهم وانتماءهم الثقافي والحضاري.

2- تعريض الأفراد والجماعات إلى مشكلات نفسية واجتماعية عديدة بسبب الانفصام اللغوي والازدواج الثقافي.

3- تبديد جزء كبير من قدرات الطلاب الذهنية من خلال ترجمة ما يقرءونه أو يسمعونه من علوم إلى لغتهم.

4_غربة المثقفين عن المجتمع الذي يعاني الكثير من إطاراته من الأمية اللغوية. وقد أثبتت بعض الدراسات أن هناك علاقة وطيدة بين ظاهرة هجرة الكفاءات العربية واستخدام اللغات الأجنبية في التدريس.

5 _ إعاقة فهم الطلاب للمادة العلمية. فقد أثبت علم نفس اللغة أن التبادل الفكري التعليمي بلغة أجنبية أصعب ذهنيا من استخدام اللغة الأم.

6_ إعاقة التفوق العلمي. فقد دلت التجارب على أن طلاب التخصصات العلمية المدرسة باللغة العربية أكثر تفوقا على أمثالهم الذين يدرسون باللغة الأجنبية (الشورطي، ص34، محاضرات في التربية).

فالخطب كبير في منظومتنا التربوية. و"المتتبع للحركة الأدبية سيلحظ أنّ القبح الآن سيّد الموقف على جميع الأصعدة وفي جميع الميادين، لم تعد قادرة على وقف التقهقر والانحدار أيادٍ قليلة تسند ما تبقى من أطلال الإبداع في عالمٍ يبتلع ذاته" (علي شريف، مقال، ملتقى العروبيين، أدب وثقافة، 16 يونيو، 2020م،. الأدب بين التغييب والتغريب،).

**-خامسا: الأسس الثقافية التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:**

عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نشر ثقافة تعليمية عربية إسلامية أصيلة، هدفت إلى تكوين فرد جزائري منسجم فكريًّا وروحيًّا وجسميًّا، ونشرت تعليمًا خاليًا من الفلسفات الفكرية ومن الأهواء الشخصية والتيارات الغربية. تعليما متكاملا جعل من ذلك الجيل جيلًا متفتحًا واعيًا يقظًا قويا متمسكا بمبادئه معتزًّا بدينه متذوقا للغته مرتبطًا بتراثه الأصيل وأمته الإسلامية، من غير اعتبار للحدود الجغرافية أو الألوان العرقية، أو اللهجات المتعددة. وجعلت جمعية العلماء العلوم الدينية أساسًا للتعليم في كافة المراحل، بل وأساسًا للحياة، واعتبر ابن باديس رحمه الله أن التغريب في التعليم هو سياسة استعمارية هدفها القضاء على الإسلام. ثم

دمج الجزائر في فرنسا فقال: "والواقع أن السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما يتعلق بالناحية التربوية التعلمية كانت ترمي إلى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وإدماجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية، ومقاومة الشريعة الإسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الإندماج" (ابن باديس، ص49/1، آثار ابن باديس).

وعلى ذكر الخط الأصيل لجمعية العلماء المسلمين وجهودها في حراسة اللغة والأدب من كيد الاستعمار، يجدر التنبيه إلى وجود مثل هذا الخط التعليمي الأصيل في الكثير من البلاد الإسلامية، ووجود الكثير من الشخصيات العلمية في وطننا العربي والإسلامي التي اشتغلت على غربلة الثقافة والأدب.

الأدباء والمبدعون في كل مكان هم ضمير الأمة، وحريتهم حرية مسؤولة. والمبدعون هم من يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ويضعون أصابعهم على العلّة فيداوونها، ويبتكرون الحلول البناءة لكل المشاكل. وفي هذا المجال نجد المئات من فحول الأدب ظلوا أوفياء لتراث أمتهم وموروثاتهم الفكرية والأدبية، وحافظوا على الأغراض الأدبية القديمة من شعر ونثر على ما في نثرهم وشعرهم من تجديد وتحديث في الوقت نفسه، وحرصوا على التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. منهم على سبيل المثال أحمد شوقي (1351هـ / 1932م)، حافظ إبراهيم (1351هـ / 1932م)، محمود سامي البارودي (1322هـ/ 1904م)، وإبراهيم طوقان (1360هـ / 1941م)، إلخ. وفي النثر مبدعون آخرون كذلك، لا يتسع المقام لذكرهم سواء في فن الخطابة أم فن المقالة أم فن القصة والرواية ... الخ.

وبعض المبدعين والمجددين في مجال الأدب شعراً ونثراً كان لهم الحق في الاختلاط والانفتاح على نتاج الآخرين من الأمم المتحضرة في هذا الميدان، لكن يؤخذ عليهم انغماسهم في التقليد والمحاكاة وعدم التمييز بين الصالح والطالح من الفكر الغربي، وما لا يراعي خصوصيتنا الثقافية والحضارية. ومن المؤسف أن يظن بعض المبدعين في ميداني الأدب والفكر، أن انحطاط الأمة وتقهقرها انفتاحا، فيسوغون لأنفسهم الاغتراب عن مجتمعهم وثقافتهم

وثوابته الراسخة. ومما زاد الأمر تعقيدا أن بعض غلاة الفكر الحداثي تجاوزوا كل الخطوط الحمر، إلى حد قطع صلتهم بثقافة أمتهم، وأظهر بعضهم اتفاقاً صريحا مع خصوم تراثنا العربي الإسلامي الحي من المستعمرين الذين أوقفوا وقتهم على تحطيم أمتنا ومقدراتها مادياً ومعنوياً، ومن العجب، أنه في الوقت الذي جحدت فيه هذه النخبة من مفكري الحداثيين العرب مكانة حضارهم العربية الإسلامية وفضلها على العالم، نجد بالمقابل عزاءً لنا في صفوة من مفكري أوربا المستنيرين المنصفين لهذه الحضارة، وفي مقدمهتم المفكر الإيرلندي العالمي جورج برنارشو (ت1370هـ/ 1950م) الذي يرى أن الإسلام يوفق بين المصالح المادية والروحية، ويؤكد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم لقاده إلى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والسعادة المنشودة. وسبقه إلى هذا، المبدع المفكر الألماني الأشهر غوته (يوهان ولفغانغ فون) الذي قال: "إذا كان هذا هو الإسلام أفلا نكون كلنا مسلمين". أليس عجيبا أن يجد التغريب بعد كل هذا مكاناً في شؤوننا الأدبية. وإذا رحنا نبحث عن سبب اختراق التغريب لأدبنا نجده أحد الأمرين:

1_ ما يراه بعضهم من التعمد في إفساد أدبنا الأصيل من طرف جماعة مجندة ومندسة لهذا الغرض.

2_ ما يراه آخرون من الجهل وسوء التقدير، ولا يعتقد أن قوى التغريب هذه من أدبائنا يقصدون من وراء أعمالهم الأدبية الانسلاخ عن أمتهم وعقيدتها وثوابتها وقيمها المتوارثة، ولم يشهد مثل هذا التوجه الحداثي العلماني الإلحادي حتى عند المتطرفين منهم في هذا الباب، أمثال صادق جلال العظم الماركسي في كتابه "نقد الفكر الديني" الذي ظهر في بيروت سنة (1389هـ = 1969م) ولا كتاب نصر أبو زيد "نقد الخطاب الديني" الصادر في القاهرة سنة (1412هـ = 1992م) ولا حتى في "الوليمة" لحيدر حيدر أو في "آيات شيطانية" لسلمان رشدي أو أدونيس في "الثابت والمتحول" و"الفاتحة" وغيرهم من الحداثيين المعروفين والمغمورين، ولا تعدو المسألة أكثر من أنها تخضع لتأثيرات غربية حداثية مذمومة تقف عند القشور للروح الثقافية العربية الإسلامية، وتعجز عن خرقها لتصل إلى جوهرها حتى لو

اجتهدوا في تأويلها لتساير النمط الثقافي الغربي وإيجاد علاقة ما بين الأصيل والدخيل، إن دل هذاّ على شيء فإنه يدل على ضعف إيمانهم وجهلهم بحقيقة الدين الحنيف ليس أكثر.

على وجه العموم فالتغريب ليس شرا كله بالتأكيد، فهناك من رواد الإصلاح في العصر الحديث أمثال الأفغاني (1315هـ/1897م) وتلميذه محمد عبده (1323هـ/1905 م) وتلميذي عبده، الكواكبي عبد الرحمن (1321هـ/1903م) ومحمد رشيد رضا (1354هـ/1935م) نادوا بالأخذ من النهضة الأوربية في مجال العلوم البحتة على وجه الخصوص، مميزين بين ما نحتاجه من ثقافة الغرب وحضارته الروحية، وبين ما نحتاجه من حضارته العلمية المادية (مقبل، ص43، التغريب وأثره في الأدب العربي).

**–سادسا: مظاهر التغريب في الكتاب المدرسي. كتاب اللغة العربية للسنة الخامسة ابتدائي نموذجا:**

**1 المظاهر:**

أ_ فصل التربية الإسلامية عن الكتاب وعن بقية المواد الأخرى، ما قد يفهم منه التلميذ بأن الدين لا علاقة له باللغة والأدب.

ب_ استلال كثير من نصوص القراءة والأدب في محور القيم والعلاقات الاجتماعية من أعمال كتاب غير مسلمين مثل خافيري فيفياني (الكتاب المدرسي ص 11) ، و"إرنست همنغواي" (Ernest Miller Hemingway) أديب أمريكي من زعماء المذهب الواقعي في الفكر والأدب الذي ظهر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ومن أبرز أفكار هذا المذهب الإلحاد وإنكار الغيب وتصوير الإنسان كائناً حيوانياً خالي العقل تسيِّره غرائزه، توفي همنغواي منتحرا سنة 1961م _ (الكتاب المدرسي ص185) وحنين وود (الكتاب المدرسي ص65) وفاطمة هيرة سيكا ( الكتاب المدرسي ص91) ونصوص مترجمة عن ثقافات غربية (ص 19 و46)، ولا شك أن هذه الأسماء ترسخ في ذهن التلميذ الصغير وتعمل على توجيه أفكاره ومناهجه .

ج _ إدخال صور وتقاليد من الثقافة الغربية في ثقافتنا الخاصة مثل الحديث عن مسابقة ملكة جمال الأهقار ضمن نص بعنوان من تقاليدنا (ص86).

د_ وضع صورة لمجموعة من النساء العداءات باللباس الرياضي الغربي الفاضح جدا الذي يشبه لباس البحر عندهم (ص99)، وهذه الصورة لا علاقة لها بالدرس السابق ولا باللاحق، فهي موضوعة لمجرد النظر والتغذية الفكرية.

هـ _ إدراج نصوص من صميم الثقافة الغربية التي تربي الناشئة على اعتناق معايير مختلفة عن ثقافتنا فيما يخص قدوات المجتمع، وأحسن الناس فيه مثل نص: "والممثلون والممثلات هم الذين يقومون بالتمثيل وبعضهم يحقق شهرة عالمية ومن يشتهر منهم يسمى نجما" (ص154).

و_ إدراج نصوص تتضمن خلطا ومزجا بين الثقافة الغربية والثقافة المحلية مما يفقد التلميذ القدرة على التميز الثقافي والتشكل الفكري الخاص مثل نص تحت موضوع "حفلات عرس": "وتفرش الأرض بالسجاجيد والزرابي يجلس عليها في شكل دائرة جوق موسيقي ... وقد يأخذ بأحدهم الطرب غايته فيقوم من مكانه ويأخذ في الرقص" (ص140).

ز _ وجود مصطلحات غربية لأسماء حيوانات أو فنون يمكن اعتبارها بدائل عن الثقافة العربية والإسلامية مثل الكلب فوكس (46) وعرائس الجراجوز _ تقول الموسوعة الحرة أن أصلها تركي من كلمتين هما: قره وقوز أي العين السوداء إشارة إلى النظرة السوداوية للحياة _ والماريونيت _ اسمها العربي: الدمى المتحركة بالخيوط، تقول الموسوعة الحرة أن هناك من يعتبر أن مسرح الدمى كان بمثابة تماثيل وأوثان وأصنام تُحيل على الديانة البوذية والطقوس الآسيوية_ (ص148)، وهانس وغريتل (ص 130)..

ح _ وجود مواضيع لا حقيقة لها في الواقع ولا تحمل أي رصيد ثقافي أو معرفي، كان من الممكن تعويضها بمواضيع حقيقية من تراثنا الإسلامي غنية بالمعلومات الثقافية والقيم الأخلاقية، فمما جاء في كتاب القراءة: موضوع الكلب فوكس الذي ساعد رجال الحماية

المدنية (ص46) ومغامرة مع وحوش البحر في كوبا (ص185) والطفل الصغير الذي لم تعتن به أخته الكبرى فكسى جسمه شعر كثيف وتحول إلى ذئب يصطاد كما تصطاد الذئاب (ص19)، ويطلب الكتاب من الأطفال في (ص130) إنجاز بطاقة كتاب بعنوان: "هانسل وغريتل" للمؤلف ألبير مطلق، وهو أستاذ في الجامعة الأمريكية، تدور حكاية الكتاب حول قيام الأخوين هانسل وغريتل بمطاردة الساحرات في كل العالم والقضاء عليهن، وتتخلل أحداث القصة التي تحولت إلى فيلم مشاهد للرعب.

ط _ كثرة المواضيع التي تصنع أحداثها الحيوانات مثل الغزال والغراب والحيتان والكلاب والذئاب، وفي محاولة لكشف حقيقة هذا الأسلوب التعليمي الذي لا نجد له مثيلا في ثقافتنا العربية والإسلامية، لا أستبعد أن يكون أصله نظرية داروين التي تقول بأن أصل الإنسان حيوان تطور شكله دون جوهره، وبالتالي فكل ما يعيشه الإنسان من تفاعل تعيشه الحيوانات، وهذا تفسير مادي للأحداث يرمي إلى انتزاع التقدير الإلهي وتأثير الشرائع السماوية على الناس، وهناك احتمال آخر أرجحه يعتبر أن الاعتماد على القصص الحيواني في التربية هو أسلوب يرجع للحضارات السابقة كالحضارة الهندية والحضارة الفارسية. يتم التجديد له على حساب الأسلوب الإسلامي الأصيل المبني على القصة الحقيقية، وعليه لا نجد في أساليبنا التربوية الأصيلة الاعتماد على التربية بالقصص الحيواني الخيالي _ إلا ما جاء من القصص القرآني أو القصص النبوي الصحيح _ وما عداه فالكثير منه ضعيف أو منتقد من عدة وجوه، أو لم يكن المراد منه التربية بالقصص الحيواني الخيالي، ومن ذلك:

أ _ كتاب الحيوان للجاحظ: يوهم العنوان الذي وُسم به الكتاب أنه مقصور على الحيوان، إلا أن الكتاب يتضمن علوما ومعارف أكبر من العنوان بكثير، فقد أطنب المؤلف في ذكر آي القرآن الكريم، وحديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه صورة للعصر العباسي وما انطوى عليه من ثقافة متشعبة الأطراف، وعادات كانت سائدة حينذاك، كما تحدث فيه عن الأمراض التي تعترض الإنسان والحيوان؛ وطرق علاجها، وتطرق إلى المسائل الكلامية التي عرف بها المعتزلة، وتحدث عن خصائص الكثير من البلدان، وعرض لبعض قضايا التاريخ. كل هذه الأنواع من العلوم كانت تتخللها الفكاهة التي بثها الجاحظ بين صفحات الكتاب، مما جعل كتابه بغية كل قارئ، شعرا وأدبا وعلوما وغيرها (الجاحظ، ص1، الحيوان).

ب _ وللدميري كتاب حياة الحيوان الكبرى: بدأ فيه بوصف الحيوان، وضبط اسمه ضبطا تاما بالشكل، وعرّف فيه بالأصل اللغوي له، وقدم عرضا لبعض الأخبار والمرويات التي تدل على طبائع ذلك الحيوان، وفي هذا الإطار يستحضر طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، والآيات القرآنية الكريمة التي لها علاقة بالموضوع، فضلا عما جاء حوله من أشعار قديمة، وأمثال وحكم. ثم يورد ما قاله الفقهاء في شأن الحيوان المذكور من حيث الحكم الشرعي في أكله أو منعه، يؤيد ذلك بالنصوص المختلفة، وبالأحاديث النبوية والآيات الكريمة، حتى ينتهي إلى ذكر الخواص الطبية والمنافع والمضار من لحم ذلك الحيوان أو غيره (الدميري، ص1، حياة الحيوان الكبرى).

ج _ أما كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع الذي يتضمن قصصا على ألسنة الحيوانات فأصله غير عربي، وهو مترجم، وكاتبه الأصلي هو الفيلسوف "بيدبا" كتبه للملك الهندي "دبلشيم" من أجل تسليته عن البطش بشعبه (ابن المقفع، ص1، كليلة ودمنة).

ومن هنا نعلم أن أسلوب التربية بقصص الحيوان غير الحقيقي _ في حدود علمي_ لم يكن معتمدا عند المربين المسلمين الأوائل، لأنهم كانوا يملكون قَصصا حقيقيا بعيدا عن الكذب والخيال، فيه غناء واكتفاء.

**2 – ما يوجد من الموضوعات ذات الصلة الوثيقة بالثقافة العربية الإسلامية في الكتاب:**

المحتوى الثقافي العربي الأصيل قليل جدا، وهو خمسة موضوعات فقط :

ابن سينا الطبيب الماهر _ ألعاب القوى في التاريخ الإسلامي _ الفنون الإسلامية وصناعة الخزف _ مع ابن بطوطة في رحلته إلى الحج _ قصر الحمراء.

إذا حسبنا نسبة هذه الموضوعات الأصيلة بالنسبة لكامل الكتاب الذي يحتوى على ثمانية وخمسين (58) نصا نثريا وشعريا أساسيا وتدعيميا فإنها تمثل 8,5 % فقط، وتعليقا على ما يمكن أن يبرر به هذا الإجحاف في حق الآداب والثقافة العربية الإسلامية بضرورة التفتح على ثقافة الآخرين ودور الثقافة العالمية في تنمية المواهب الفكرية، نعتبر أن هذا التفتح مهم

لكنه لا ينبغي أن يحصل إلا بعدما يتشبع التلميذ بثقافته الخاصة، وبعدما يكون قادرا على فحص ونقد ثقافات الآخرين، ويكون بمأمن من تأثيرها عليه وذوبان شخصيته فيها.

**-خاتمة:**

من خلال معرفة مفهوم التغريب لغة واصطلاحا وأهدافه وخطره على هوية الأمة ومجالاته _ وخاصة التعليم _ وجهود العلماء السابقين في مقاومته . وعرض لبعض مظاهره في كتاب القراءة للسنة الخامسة ابتدائي يمكننا استنتاج عدة نتائج ،أهمها:

_ التغريب أيديولوجية خطيرة تهدد فكرنا وأدبنا وثقافتنا بشكل جدي.

_ التغريب عمل ممنهج في منظومتنا التعليمية لإبعادها عن أصالتها ونقائها باسم التجديد في المناهج التربوية.

_كتاب القراءة للسنة الخامسة ابتدائي نموذج للكتاب المدرسي الذي يغلب عليه الطابع التغريبي من خلال نوع وحجم النصوص الأدبية التغريبية المبرمجة فيه.

وأمام هذا الوضع المقلق لا يسعنا إلا أن نوصي أصحاب الدراسات الأدبية التعليمية بتكثيف الجهود لكشف هذا الاختراق الخطير، ونوصي القائمين على تسطير البرامج التعليمية بالحذر الشديد من مآلات هذا المسلك واستشعار أمانة الأمة والأجيال في صناعة عقول أبناءنا صناعة تحفظ لم هويتهم وخصوصيتم الثقافية والفكرية.

إن منظومتنا التربوية اليوم قد تكون في حالة ضعف وتردي، لكنها بالتأكيد لن تصبح أمرا واقعا، فعندنا من أبنائنا الأدباء والمفكرين والمثقفين المخلصين الغيورين الذين يستطيعون الإمساك بزمام المبادرة وبمقومات النهضة والإقلاع الحضاري وآليات التجديد لاستعادة منظومة تعليمية راقية تجمع بين الأصالة والمعاصرة في يقظة وحس الانتماء لهذه الأمة وعزتها.

**المراجع:**

1_ ا . ل شاتليه، 1387هـ، الغارة على العالم الإسلامي، تلخيص وترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط2، جدة.

2_ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 1965، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، مصر، ط.2

3_ عبد الحميد بن باديس، 1968، آثار ابن باديس، تح: عمار طالبي، مكتبة الشركة الجزائرية، ط.1

4_ عبد الستار فتح الله، 1981، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، أدارة الثقافة والنشر، جامعة محمد بن سعود، السعودية، دط.

5_ عبد الله بن المقفع، 1936م، كليلة ودمنة، ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ط17.

6_ علي محمد جريشة،1979، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الوفاء، ط3.

7_ علي محمد شريف، الأدب بين التغييب والتغريب، 2020، موقع ملتقى العروبيين صفحة أدب وثقافة، يونيو 16.

8_ علي محمد مقبول الأهدل، دت، أضواء على الثقافة الاسلامية، شبكة الألوكة، دط.

9_ فهمي توفيق محمد مقبل، دت، التغريب وأثره في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص 43.

10_ محمد البشير الإبراهيمي، 1997، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط.1

11_ محمد بن مكرم بن منظور، 1414هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3.

12_ محمد بن موسى الدميري، 1424 هـ، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.

13_ محمد حسين، 1968، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، دار الحمامي للطباعة، مصر، ط2.

14_ محمد سرور بن نايف، 1988، دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقم، ط.2

15_ يزيد عيسى الشورطي، دت، محاضرة، قسم أصول التربية، كلية العلوم التربوية، الجامعة الاشمية، الأردن.